آليات التماسك النصي في شعر ابن العميد

م.د ضحى ثامر محمد

جامعة كربلاء ، كلية الهندسة

قسم هندسة العمارة

Dhuha thamer mohammed

College of Engineering-University of Kerbala

dhuha.th@uokerbala.edu.iq

المقدمة

في ضوء الرؤية الحديثة لدراسة النص، اصبح للنص علمٌ مهمته البحث عن الأنظمة المكونة لبنية النص التركيبية والدلالية ، وطرق توظيفها وانتاجها ، لذا جاء اختيار شعر ابن العميد نموذجا للمفاتشة عن تلك الأنظمة اللغوية تحت منهاج اللسانيات التداولية ، ولقد اخترت التماسك النصي وآلياته نظاما نصيا ؛ لأنه من الظواهر النصية المهمة التي شغلت علم اللغة النصي ، فلا يمكن أنّ يبدو نصاً ملتحماً متماسكاً ، إذا لم تكن بنيته الداخلية والخارجية مترابطة ومتداخلة عبر مجموعة من العلاقات المختلفة التي تلتحم لإنتاج النص ، وعبر هذا البحث سنقف على أبرز تلك الآليات أو العلاقات المنتجة للنص المتمثلة بالاستبدال ، والإحالة ، والحذف، والوصل، والاتساق المعجمي .

الكلمات المفتاحية : النص بوصفه مرتكزا لمدلولات عدة ، ابن العميد ومنزلته الأدبية ، مفهوم التماسك النصي وآلياته ، النص الشعري بوصفه نموذجا للتطبيق النقدي.

Abstract

In light of the modern vision of studying the text, the text has become a science whose mission is to search for the systems that make up the text's syntactic and semantic structure, and the methods of employing and producing them. Therefore, the choice

of (Ibn Al-Ameed's) poetry came as a model for examining those linguistic systems under the approach of pragmatic linguistics. I chose textual cohesion and its mechanisms as a textual system because it is one of the important textual phenomena that occupied the science of textual linguistics. A text cannot appear cohesive and integrated if its internal and external structure is not linked and intertwined through a group of different relationships that are combined to produce the text. Through this research, we will stand on the most prominent of those mechanisms or relationships that produce the text, represented by substitution, .reference, deletion, connection, and lexical consistency

التمهيد : شذرات تعريفية

أولا: النص بوصفه مرتكزا لمدلولات عدة

يمثل النص الأدبي السطح الظاهري للأبداع المكتوب , والتسمية الأولى والأخيرة لمحتوياته ، وهو الغطاء الساتر لمجموعة من التفاعلات اللغوية والجمالية والسياقية التي تحدث داخل البنية الإنتاجية؛ لأنّ النص الأدبي عبارة عن نسيج من العناصر و الوحدات اللغوية المنتظمة و المنسجمة ذات دلالة ووظيفة معينة .

وإذا وقفنا عند مفهوم النص بصورته الاجمالية ، نلحظ إنّ له تعريفات تعددت وتداخلت في دراسات شتّى، وسنقف عند تعريف (عثمان ابو زنيد) للنص , إذ يمثل اكثر شمولية لمفهوم النص ، فهو: ((نظام كلي ينطوي على ابعاد دلالية , ومحمولات معرفية , تشكل وحدة تواصلية في فضاء نصي مركب من مجموعة من العلاقات المتبادلة بين مجريات لغوية ومعطيات انجازية , خاضعة للدلالة العميقة المنتجة , وإطار التلقي المفترض في مرحلة الانتاج)) [1] ، وهذه العلاقات المتبادلة داخل بنية النص , تلزم النص بتماسك عناصره وتربط اجزاءه ووحدة موضوعه، وأي فصل بين الأجزاء يؤدي الى عدم وضوح النص , ومن ثم عدم تحقق الفهم , فلابد أن تتحقق الوحدة الكلية , أو ما يسمى بالتماسك النصي

. إذ إنّ النص ليس مجرد خطاب أو قول يراد ايصاله , بل هو وحدة لغوية وتوصيلية في الوقت نفسه [2].

إنّ هذا الانسجام اللغوي النصي يشبه الى حد ما –الجملة النحوية – من جانب ترتيبها النحوي ، وهي بدورها جزء من النص ؛ لأنّ النص ((تتابع مترابط من الجمل , ويستنتج من ذلك أن الجملة بوصفها جزءا صغيرا ترمز إلى النص)) [3] ، فالنص مفهوم اوسع بكثير من الجملة ؛ لأنه مجموعة من الروابط والعلاقات اللغوية والسياقية والدلالية والتواصلية .

ويكسب النص الأدبي القصيدة خاصة نصيته من وجود مجموعة من الدلالات تسهم بشكل كبير في بناء النص , وهي الاحالة , والاستبدال , والوصل الذي يشمل بدوره العطف والحذف والاستدراك , والاتساق المعجمي الذي يشمل النظام والتكرار , وهذه النصية قضية داخلية في النص , ووظيفة المتلقي امامها الحكم بوجودها او عدمه [4] ، ويضع (بوجراند) معايير سبعة يجب توافرها في النص حتى نحكم بنصيته وهي [5] :

1–السبك أو الربط النحوي . 2– الحبل أو التماسك الدلالي .

3–القصد اي هدف النص . 4– المقبولية , تتعلق بموقف المتلقي من قبول النص.

5–الاخبارية او الاعلام , اي توقع المعلومات الواردة فيه او عدمه .

6–المقامية , وتتعلق بمناسبة النص للموقف . 7– التناقص .

وعلى وفق هذه المعايير , فإنّ النص عبارة عن بنية تركيبية تقسم على بنية منغلقة (داخلية) توظف الوسائل اللغوية لإنتاجها , وبنية مفتوحة تحيط بالنص من الخارج , وبنية ثقافية تتعلق بمنتج النص او متلقيه وقدرتها على الربط بين البنية الداخلية والخارجية لإنتاج المعنى .

وسنحاول في هذا البحث أن نرصد الآليات أو المعايير التي اسهمت في انتاج النص بحلته الظاهرية وجمعت بين البنيتين الظاهر منها والمخفي بشكلٍ او بآخر – وإلى مثل هذا التعالق والترابط بين الدوال والمداليل، و سنفصل القول وننبّه إلى إشارات القصد التي أراد الشاعر – ابن العميد – ركوبها ليصل الى مبتغاه.

ثانيا : ابن العميد ، ومنزلته الأدبية .

هو أبو الفضل ، محمد بن الحسين الملقب بابن العميد [6] ، نشأ وتربى في بيئة علمية وأدبية ، فقد كان أبوه عبد الله الحسين بن محمد كاتبا مشهورا في خراسان ، وتقلد ديوان الرسائل للملك نوح بن نصر الساماني ، ملك بخارى [7].

عُرف ابن العميد بثقافته الموسوعية التي لم تقف عند حدود الأدب واللغة العربية ، إذ كان من ((أكتب أهل عصره وأجمعهم لآلات الكتابة ، وحفظا للغة والغريب ، وتوسعا في النحو والعروض ، واهتداءً إلى الاشتقاق والاستعارات ، وحفظا للدواوين من شعراء الجاهلية والاسلام))[8] ، وقد قصده مجموعة من

الشعراء والادباء يتقدمهم الوزير الصاحب بن عباد والمتنبي وابن نباته السعدي ، ولابن العميد من المؤلفات : ديوان رسائله ، وكتاب المذهب في البلاغات ، ومجموع شعره ، ، وذكر عبد الرحيم العباسي أنّ ابن العميد ألف كتابا سماه (الخُلُقُ والخَلْقُ) ولكنه لم يبّيضه[9].

وتولى ابن العميد وزارة ركن الدولة في الري سنة 328هـ ، فحمل عنه اعباء الإدارة ، وخاض معه غمرات السياسة والحرب ، وبقي كذلك ايام عضد الدولة ، فكان يقود الجيوش بنفسه، واستطاع بدهائه ، ومقدرته العسكرية أن ينشر نفوذ عضد الدولة على بغداد ، والعراق ، وبقي وفيا له طوال مدة وزارته التي دامت أربعاً وعشرين سنة[10].

المبحث الأول : مفهوم التماسك النصي ، وآلياته .

أولا: التماسك النصي لغة واصطلاحا

لغة يعني : ((امسكت بالشيء وتمسكت به واستمسكت كله بمعنى اعتصمت ، وكذلك تمسكت به تمسيكا ... التمسيك من الاساقي التي تحبس الماء فلا ينضح وأرض تمسيكة لا تنشف الماء لصلابتها وارض مساك ايضا)) [11]. يشير المعنى اللغوي الى التماسك اي الترابط والصلابة والانسجام بين الاجزاء .

والتماسك اصطلاحا : يتداخل مفهوم التماسك مع مجموعة من المفاهيم أو المصطلحات التي تتفق مع مفهوم التماسك بأشياء وتختلف بأشياء اخرى , إذ عنيت بعض المصطلحات بالتماسك الشكلي بين اجزاء النص فقط لا سيما مصطلح (الاتساق) الذي يعني : ((التماسك الشديد بين الاجزاء المشكلة لنص ما , ويهتم بالوسائل الشكلية اللغوية , التي تصل بين العناصر المكونة لجزء من خطاب او خطاب برمته))[12]. فيما عُنيت بعض المصطلحات بالتماسك الدلالي لاسيما مصطلح (الانسجام) وترجمه د. تمام حسان الى معنى الإلتحام ((الذي يتطلب من الاجراءات ما تتنشط به عناصر المعرفة لإيجاد الترابط المفهومي واسترجاعه , وتشمل وسائل الإتحام العناصر المنطقية مثل السببية والعموم والخصوص , ومعلومات عن تنظيم الأحداث والأعمال والموضوعات والمواقف , والسعي الى التماسك فيما يتصل بالتجربة الإنسانية , ويتدعم الإلتحام بتفاعل المعلومات التي يعرضها النص مع المعرفة السابقة بالعالم)) [13].

وتظهر الصورة جلية وواضحة للقارئ أنّ الإتساق يتعلق بالجانب اللغوي التركيبي للنص أي البنية الداخلية , اما الإنسجام فيتعلق بالجانب الدلالي السياقي الذي يمد قارئ النص بمجمل المعارف الخارجية التي تسهم في بيان الدلالة النصية . وعلى وفق ذلك فإن التماسك النصي يعني الإتساق والإنسجام معا .

ثانيا : آليات التماسك النصي :

اولا: الإحالة : من اهم آليات التماسك النصي هي الإحالة نقل شيء داخل النص الى شيء خارجه بوجود رابط بينهما يسمح لذلك التحول شرط أن لا يغير في تركيبة النص , أو قد تكون الإحالة داخل اجزاء النص الواحد , فالإحالة ((هي علاقة بين عنصر لغوي احالي , وآخر إشاري غير لغوي أو خارجي بحيث يتوقف تفسير الأول بالرجوع إلى الثاني الذي يحيل إليه فيضع دلالته ومعناه , شريطة أن يكون هناك تطابق دلالي بينهما , ولذلك فإنّ فهم العناصر الإحالية التي يتضمنها نص – ما – يقتضي أن يبحث المخاطب في مكان آخر داخل النص أو خارجه))[14] .

وتقسم الإحالة على قسمين :

1- الإحالة النصية (الداخلية) : وهي الإحالة اللغوية الي تتم بين أجزاء النص الواحد من دون الإحالة الى عنصر خارجي ، وقد تكون الإحالة قبلية . اشارة عنصر لغوي إلى ما يتقدمه من عناصر لغوية مختلفة مرتبطة بالمحيل ، إذ الإحالة علاقة دلالية بين المحيل والعنصر المحيل إليه .

وأمّا الإحالة البعدية : فهي ((عناصر لغوية تشير الى معلومات تالية في داخل سياق القول , ليس لها الوظيفة الفرعية التي تتصف بها الروابط الإحالية , إذ لا تنوب من لفظ سابق , وترمز الى دلالة سيمائية بمفردها)) [15].

2- الإحالة المقامية (الخارجية) وهي الإحالة التي تربط العناصر اللغوية الداخلية بعناصر غير لغوية خارجية , واكثر ما تتمثل بالضمائر واسماء الاشارة , وهذه الإحالة تساعد في فهم النص ؛ إذ لابد من تكوين النص من وجود شيء مذكور وآخر محذوف يساعد على فهمه سياق الكلام.

وتتحقق الإحالة في النص بمجموعة من الأدوات وهي :

1-الضمائر / وهي نوعان، ضمائر تحيل إلى خارج النص , وتتمثل بالضمائر الدالة على المتكلم والمخاطب , وضمائر تحيل الى داخل النص وتتمثل بضمائر الغيبة بجميع انواعها .

2-اسماءالأشارة , بجميع فروعها البعيدة والقريبة والظرفية .

3-الموصولات , التي تتمثل بالأسماء الموصولة التي تصل الجملة التي بعدها بما قبلها .

4-الإحالة بالمقارنة : وهي ((وجود عنصرين يقارن النص بينهما ، وتقوم على المطابقة والتشابه , وتقوم على ألفاظ مثل وصف الشئ بأنه شيء آخر أو يماثله أو يوازيه وبعضها يقوم على المخالفة كأن تقول

يضاد أو يعاكس أو أفضل أو أكبر أو أجمل)) [16] . أما أدوات المقارنة فقد تكون عامة تأخذ طابع التشابه أو الاختلاف مثل (نفس , عين , متشابه , يشبه إلى حد ما ...) أو مختلف , غير متشابه , أمّا المقارنة الخارجية : فتقع بين شيئين في صفة معينة من حيث الكم أو الكيف مثل أقل , أكثر , متساو , الافضل , أو قد تكون المقارنة بالحروف : مثل الكاف ,و مثل , وكما , وكأن [17].

ثانياً : الاستبدال

وهو ((عملية تتم داخل النص ، إنه تعويض عنصر في النص بعنصر آخر)) [18] . فهو علاقة قبلية بين المستبدل منه (المنقول) والمستبدِل به ، علاقة المتأخر بالمتقدم يستبعد المتقدم واحلال المتأخر بدلاً عنه .

ويقسم الاستبدال على ثلاثة انواع : [19]

1- استبدال اسمي

2- استبدال فعلي

3- استبدال قولي : وهو استبدال قول مكان آخر مع تأدية ذات الوظيفة في النص ، ويستعمل فيه المفردات (نعم ، لا ، ايضا، اجل) وهذه تعوض مكان جمل كاملة وتشترك معها في الدلالة.

ثالثاً: الحذف

تداول مفهوم الحذف الدرس اللغوي القديم منه والحديث بشكل موسع نظراً لأهميته في بنية النص ودلالته ،فالحذف علاقة نصية تتم داخل النص بحذف كلمة أو عبارة أو حتى جملة مع وجود قرينة مفهومة دالة على المحذوف ، فالمحذوف ذو صلة بالسابق الذي حقق الاكتفاء في البنية السطحية أما الدلالة فهي نتاج بين اللغوي وغير اللغوي . أي العلاقة بين المنتج والمتلقي ، والحذف هو سمة اهل العربية ، إذ كانت العرب تميل إلى الايجاز والإختصار من دون الاطناب ، فقالوا الاعجاز في الايجاز ، وقد رأى الجرجاني إنّ الحذف : ((هو باب دقيق المسلك ، لطيف المأخذ ، عجيب الأمر ، شبيه بالسحر ، فإنّك ترى به ترك الذكر افصح من الذكر ، والصمت عن الزيادة أفيد للإفادة ، وتجدك انطق ما تكون إذا لم تنطق ، وأتم ما تكون بيانا إذا لم تُبن)) [20] .

ويتحقق التماسك النصي عبر الحذف على محورين اساسيين : [21]

1- التكرار : إذ المحذوف مشتق من المذكور لفظاً أو معنى أو ما يتعلق به .

2- المرجعية : المحذوف يقع عادة في التركيب الثاني ، ويرتبط بالتركيب السابق كدليل على المحذوف ، فهي مرجعية قبلية .

رابعا: الوصل أو الربط

وهو من أهم آليات التماسك النصي الذي غايته ربط وايصال الكلام وتعلق بعضه ببعض بواسطة مجموعة من الادوات لا سيما ادوات العطف والحروف ويأتي في مقدمتها (الواو ، أو) ، إذ إن ((النص عبارة عن جمل أو متتاليات متعاقبة خطياً ، ولكي تكون وحدة متماسكة تحتاج إلى عناصر رابطة متنوعة تصل بين اجزاء النص))[22] .

ويصنف الوصل إلى اربعة انواع ، هي : [23]

1- الوصل الاضافي : ويتم الربط بالوصل الإضافي بواسطة الادوات (الواو ، أو) ، أو علاقات التماسك المتمثلة بالمثل ، أعني ، بتعبير آخر ...

2- الوصل العكسي (الاستدراكي) : يربط بين الاجزاء المتعارضة والمتناثرة في عالم النص ، ويشار إليه بالادوات (لكن ، بل ، مع ذلك ، على الرغم ، في نفس الوقت ، على اية حال...)

3- الوصل السببي : ويخضع هذا النوع إلى علاقة السبب والنتيجة والشرط .

4- الوصل الزمني : ويتمثل بعلاقة تربط بينهما روابط زمنية عبر الادوات (ثم ، بعد) وتعبيرات مثل (بعد ذلك ، على نحو تال ، في ذات الوقت ، حالاً ، في هذه اللحظة) .

خامساً : الاتساق المعجمي

وهو من الآليات النصية التي تعمل على مستوى البنية السطحية أي الشكلية اللفظية ، إذ يعمل الاتساق المعجمي على ربط الفاظ ومعاني النص وتعالقها من بداية النص إلى آخره ، بسلسلة لفظية ملتحمة ترتبط جميعها لتؤدي الفكرة ذاتها بعيدا عن الوسائل النحوية .

أما وسائل التماسك المعجمي بحسب (هاليدي ورقية حسن) فيتحقق بوسيلتين : [24]

1- التكرار : وهو اعادة ذكر عنصر معجمي أو التعبير عنه بمرادف أو باسم جنس ، أو بوحدة ذات دلالة عامة ، وقد يكون التكرار بالمعنى.

2- التضام : ((توارد زوج من الكلمات بالفعل أو بالقوة ؛ نظراً إلى ارتباطهما بحكم هذه العلاقة أو تلك)) [25] .

وبعد هذا التنظير لآليات التماسك النصي ، جاء دور التطبيق على النصوص الشعرية المختارة، للكشف عن القيمة الدلالية للنص الشعري عبر تلك الآليات المتميزة البناءة ، ومن بعدها نتحول إلى التحليل التداولي الذي يكشف النص أو القصيدة على انها لوحة متكاملة مرصوصة ، كل شاردة وواردة بها تعبر عن معنى ما ، تجتمع في نهاية المطاف لتؤدي فكرة واحدة ، وتكون القصيدة لوحة نصيّة.

المبحث الثاني : النص الشعري نموذجا للتطبيق النقدي .

قال ابن العميد في احدى قصائده الاخوانية : [26]

(البسيط)

أشكو إليك زماناً ظلَّ يعركُنِـــي عَركَ الأديمِ ومن يعدي علـــى الزَّمَنِ
وصاحباً كنتُ مغبوطاً بصحبته دهــراً فغادَرنــي فــرداً بــلا سَكــنِ
هَبَّتْ لهُ ريحُ إقبـــالٍ فطارَ بها نحو السـرور ألجانــي إلـــى الحَزَنِ
نــأى بجانبهِ عنّــي وصيَّرنـــي منَ الأسى ودواعي الشـوقِ في قَرَنِ
وبـــاعَ صفوَ ودادٍ كنتُ أقصِرهُ عليـــهِ مجتهداً فـــي السِـرِّ والعَلَـنِ
وكان غالى به حيناً فأرخصُهُ يا مـــن رأى صفو ودٍّ بيـــعَ بـــالغُبُنِ

تعد هذه القصيدة من القصائد الاخوانية العاطفية ، التي يستعطف الشاعر صاحبه بالود بعد الجفوة في العلاقة ، موظفاً اساليب الاستعطاف من بداية النص إلى نهايته على شكل خطاب، يدور حوار الأول الخارجي بين المتكلم المستتر (أنا الشاعر) والآخر الخارجي (المخاطب) ، فقوله : **(أشكو إليك)** ، إحالة عنصر لغوي داخلي متمثل بالضمير المستتر (أنا الشاعر) إلى عنصر لغوي خارج النص متمثلاُ بالآخر / المتلقي ، متمثلا في ضمير المخاطب الكاف ،يشكوه الزمن أولاُ الذي يحيل هو الآخر إحالة نصية بعدية متمثلة بـ (الصاحب) وهو جزء من اشكالية الزمن لدى الشاعر .

أمّا الحوار الثاني: فهو حوار داخلي تكشفه الإحالات النصية الداخلية القبلية المتمثلة بالضمائر المستترة للمخاطب في قوله : (هبت له ، طار، باع، كان ، رأى ، كأنه) جميعها إحالة إلى الصاحب الذي نسب إليه الشاعر كل صفات البعد والغدر والجفاء . والإحالات المتمثلة بالضمير المتكلم(أنا الشاعر) المتمثلة بالضمير المتصل في قوله : (ألجاني ، كنت أقصره، أرخصه) وهي ايضا تحول إلى عتاب الصاحب ، وهذه الاحالات ينسجها الشاعر بصورة متماسكة من دون أي اخلال في المنظومة اللغوية النحوية تسبب أرباكا للقارئ اللغوي ، وتسهم ادوات الوصل من (الواو والفاء) في ذلك التماسك النصي مما تجعل للقارئ دورا فاعلا في عملية البحث والكشف عن إحالات هذه الضمائر لا سيما إنها تتراوح بين إحالات نصية ومقامية .

وما نلحظه أنّ الشاعر قد استغل المعجم اللغوي الثري الذي تتمتع به اللغة العربية ، فوظف لفظة بدلا من اخرى حين وظف لفظة (الأديم) للدلالة على الحالة الجسمانية والنفسية المرهقة والمتعبة جراء تقلبات الزمن ، فقد اختصرت هذه اللفظة معاناة الشاعر من الزمن بأكملها . وعلى سبيل الترادف ايضا استبدل معنى الفرح والسرور والراحة بكلمة واحدة (مغبوطا) قصداً للأختصار والبعد عن الإطالة والتكرار

وزيادة النص الشعري سبكاً وتماسكاُ دلالة اقوى ، والنص بأكمله مر بحالة استبدالية حول حالته من حالة الشوق والصفو إلى حال الغدر والحزن والفراق .

وأنّ التكرار الوارد في النص قد اسهم في تأكيد معاناة الشاعر تجاه الصاحب ، وهو بدوره يشمل اسماء عدة لا يمكن التخمين ايهما يقصد الشاعر ؛ لأن الصاحب تندرج تحته مسميات (الصديق ، الحبيب ، الزوج) فاللفظة فيها من الشمول والعموم ، وهذا بدوره يسهم في تشويق المتلقي لمعرفة من الصاحب المقصود الذي بنيت عليه القصيدة ، وأما الترادف الحاصل بين (السكن– المنزل) فهو نوع من التكرار لأنهما يعبران عن معنى واحد ، فقوله : (بلا سكن) جُرد الشاعر من معاني السكينة والهدوء وهذا اشبه ما يكون بفاقد السكن المكاني فيبقى مهمشا .

اما قوله (المنزل الخشن) فالمنزل المكاني موجود ولكن انعدمت فيه الراحة والسكينة والنعيم ، وهذا النوع من التكرار فيه من تهويل المصاب. أما جملة (باع صفو وداد) في البيت الخامس والسادس فهو من التكرار اللفظي لم يضف إلى معنى النص شيء جديد ، والنص بأكمله هو تكرار للمعنى الواحد السرور في حالة الوجود ، والحزن وما يرافقه من شوق من جراء الخيانة والغدر في حالة الغياب ، وهذا ضرب من اللغو يمكن الاستغناء عنه والاكتفاء بالبيت أو البيتين في النص ؛ لأنّ الشاعر أقام نصه على معنى واحد ومن دون ذكر السبب وراء ذلك.

ويتجلى التضام كذلك في النص في اختيار الشاعر للكلمات التي تنتمي إلى حقل دلالي واحد يعبر عن فكرة النص(الوفاء، الخيانة) لذا وظف مجموعة من الثنائيات المتنافرة في النص الواحد تتجلى في :

السر – العلن

المغالاة – الرخيص

السرور – الحزن

هبت – طار

فلم يكن الوصل بين هذه العبارات شكلياً، بل راعى الشاعر مناسبتها مع الحالة الشعورية التي يمر بها فهو مهزوم نتيجة الغدر وما صاحبه من مشاعر الحزن والرخص والهجران ، ومنتصر بما أضمره للآخر من مشاعر الحب والشوق وصفو الوداد الذي كتم عليه سراً وعلناً ، وبهذا يكون الشاعر قد حقق حسن النظم بملاءمة كل لفظة لمعنى لفظة اخرى قد سبقتها أو لحقتها ثم ملاءمة الثنائيات لفكرة النص ومقصد الشاعر .

وقال ابن العميد في وصف شمعة: [27]

(المتقارب)

وباكيـــــــةٍ دَمعُـها أصفـــرُ يَبِيتُ على خدّها جــامدا

فإن جَمَعُـوا دمعَــها صيّــرَوا مثالاً لها مِثلــها عائِـــداً

إذا اضطجعتْ لـــم تُرِدها ،بلى تــرى قــدِّها قائماً قــاعِدا
تُرِيكَ شَبيهَ الضُّحى في الدُّجى إذا لـم يَبُـتْ طَرْفُـــها راقدا
وَتحيــا إذا قطـــعوا رأســـها وتُبصِــرُ نُقصانــها زائـــدا

يقدم الشاعر لوحة فنية دقيقة الوصف في ابسط جزئياتها ، يخيلها القارئ أنه غزل ووصف المحبوبة ؛ بسبب الحس الوجداني الذي نتلمسه في التفاعل الحاصل في وصف الشمعة ، وكأنها المحبوبة التي شاركته أنسه ووحشة ليله وإن لم يصرح الشاعر باسمها ،فقد حذفها وعدم التشهير لوجود القرائن الدالة عليها واكتفى بالإحالة إليها بالضمائر الغائبة في النص (باكية ، دمعها ، خدها ، اضطجعت، تريك ، تحيا، نقصانها) وهي احالات مقامية تشير الى خارج النص لا سيما أنّ الشاعر ابتدأ نصه بأداة الوصل (الواو الحالية) التي تصف وتسرد حال الشمعة ، ومن جانب آخر تصل المتلقي بخارج النص ، فالجزئيات قد احالت إلى الشمعة ، وما نلحظه أنّ الشمعة قد مرت بمراحل متسلسلة تبدأ بمرحلة البكاء كناية عن ذوبانها وانتهاءً بقطع الرأس كناية عن انتهاء الذوبان عند اخر نقطة وهو الخيط المشتعل في رأس الشمعة ، فاللاحق مرتبط بالسابق لا يمكن أن يتعداه فهو اشبه بمنظومة كهربائية مرتبطة الاسلاك كل مرحلة تؤدي دورها الخاص تمهيدا إلى المرحلة اللاحقة.

وما نلحظه أنّ النص يحيل إلى مخاطب فردي(ترى ، تريك) وآخر جماعي (جمعوا ، صبروا، قطعوا) ، وإحالة المخاطب الفردي والجماعي تشمل إحالتين هما ، إحالة مقامية تتمثل بإحالة المتلقي نفسه إلى المخاطب الخارجي الذي يتخيله الشاعر لحظة الابداع ، واحالة نصية تحيل المخاطب إلى المراحل التي تمر بها الشمعة لأداء وظيفتها ، ويضاف إلى ذلك إحالة النص إلى المتكلم نفسه ؛ لأنّ الشمعة رفيقة الإنسان عند المساء تشاركه افراحه واحزانه وتساؤلاته ، وهذه الإحالات عملت على احداث علاقة بين النص وسياقه الخارجي ساعدت على فهم النص والوقوف على مراجع إحالاته .

ولكل شاعر معجمه الشعري الخاص الذي ينتقي منه الالفاظ التي تناسب معناه وفكرته وتحقق التماسك النصي ، وتجذب انتباه المتلقي وتثير فكرة الناقد ، وهذا محصلة تكوينه الثقافي ، فحين يرسم صورة فنية بإطار رمزي يحاول التقاط الفاظ تشير إلى فكرته من دون تصريح مثل ما فعل الشاعر في وصف الشمعة ، إذ وظف البكاء بدلاً من الذوبان ، وسرعان ما استبدل البكاء بالدمع والنور بالظلام ، والليل بالدجى ، والاضطجاع بدلاً من التمدد ، وقدها بدلاً من قاعدتها ، انها مجموعة من الاستبدالات الاسمية التي أجراها الشاعر ليرسم لنا مراحل الشمعة منذ بدء الاشتعال إلى انطفائها، أضفى على النص الحركة والاستمرارية والمتعة .

وتستمر الروابط النصية بالتلاؤم في توظيف الالفاظ بما يناسب المقام في وصف احوال الشمعة التي في حالة تضاد دائما فهي تحول الدجى / الظلام إلى الضحى/ النور ، وكلما نقص حجمها وهي قائمة

زاد نورها وزاد حجمها حين تذوب يتمدد حجمها (قاعدا) فالشمعة تمر بمراحل عكسية في كل مرحلة تحقق فائدة من نوع آخر ، ومن ثم تنتج في كل مرة دلالة جديدة تغني النص وتثير متعة القارئ الذي لا يجد صعوبة في جريان العبارات وإن كانت تنتمي إلى حقل دلالي واحد ، هذا بالاضافة إلى التكرار الترادفي الحاصل في (باكية – دمعها) ، (يبيت – الاضطجاع) فإنّ ذلك التضاد والتكرار قد اكسب النص تلوناً دلالياً في باطنه وتنوعاً شكليا في ظاهره.

وفي قصيدة أخرى، قال ابن العميد : [28]

(الوافر)

دعانِي في انْبلاجِ اللَّيل صُبْحٌ فنادى قُـمْ فحيّ علــى الفَلاحِ
فقلتُ لــهُ ترَفقْ يــا مُنــادِي أليسَ اللَّيْـلُ مســـــودَّ الجنــاحِ
فثغري والمدامُ وحسنُ وجهي صبــاحٌ فــي صباحٍ فــي صباحِ

النص عبارة عن حوار مونولوجي بين العاقل (الشاعر) الذي أحال إليه ضمير المتكلم (دعاني ، فقلتُ، ثغري) ، وغير عاقل (الزمن / الصباح) الذي أحال إليه في بداية النص إحالة مقامية متمثلة بالضمير الغائب (هو) ، وسرعان ما صرح باسمه (الصباح) ، ليحيل إليه الضمائر المستترة البعدية المتمثلة في (فنادى ، قم ، فحي ، ترفق) ، فتوظيف الإحالات المقامية منها والنصية إنما جاءت لقصد الاختصار وتكثيف الصورة ، وإثارة انتباه المتلقي وتوجيهه عبر البحث عن عائد الضمير .

وتجنبا للتكرار فقد وظف الشاعر ايقونة الاستبدال حين استبدل كلمة (صبح) بكلمة (يا منادي) وهذا ينم عن إبداع الشاعر ودقته في توظيف المعجم اللغوي الثري حتى يحقق للنص تماسكه لا سيما أنّ النص قد تكررت فيه الالفاظ .

وما يدل ايضا على التماسك اللغوي بين وحدات النص توظيف حرف الربط (الفاء والواو) في النص ؛ فالربط بالفاء قد أفاد النص بالترتيب وتعقيب أمر بآخر كأنه سلسلة محكمة حلقاتها في دائرة الحوار ، فالنداء هو فعل الفاعل (الصبح) ارتبط به وأدى دوره بأداة الربط الفاء ، وكذلك الوصل بالحرف (الواو) التي تعرف في هذا المقام بالواو الحالية التي عبرت عن حال الشاعر ، وهذا التعدد في ادوات الوصل يحمل دلالة سرد الحدث بشكل سردي مفصل .

ويوظف الشاعر التكرار الزمني ضمن مفردتين (الليل_ الصبح) المتضادتين ،فما أن ذكرت احدهما حتى استدعت الأخرى لفظاً أو معنى بوعي أو من دونه ، وهذه المصاحبة المعجمية تثير انتباه المتلقي مما تجعله يبحث باستمرارية عن النقيض وكأنّ المعنى لا يتمثل الا بوجود النقيض ، وهذه الالتفاتة مهمة من لدن الشاعر اكسب نصه الاستمرارية ، ثم جذبت انتباه المتلقي وتركيزه على

وجود المتضادين في النص بعيدا عن التأويلات التي تختلف باختلاف ثقافة المتلقي ، واستطاع الشاعر عبرها أن ينسج نصه بصورة متماسكة في انتاج الفكرة.

وفي قصيدة أخرى قال ابن العميد : [29] (المنسرح)

يــا هرُّ فــارقتنا مفــارقـــةً عمَّت جميع النفوسِ بالثكلِ
لو كان بالحادثاتِ لـــي قِبلٌ إذا أتاك الصريخ مـــن قبلي
يا مثلا سائــراً إذا ذُكـرِ الـــ حُسنُ تركت الحسانَ كـــالمثلِ
وقيل هل تفتديه إن قبــل الدَّ هـــرُ فــداءً فقــلتُ حيهـلِ
أفديه بالصفــوةِ الكرامِ من الـ إخوان دون الأخدانِ والخـلِ
بـــل بمحلِ الكرى ومعتلج الـ فكْرِ وحــبِ القلــوبِ والـمقلِ
بــل بسكون الوجيب يجلبه الـ أمن إلــى قلــب خــائبٍ وجِـل
بل بحلول الشِفاءِ يجنبه الصحْـ ــة بعـــد الأوصــابِ والعــلل
بــل ببلوغ المنى وقاصيــة الـــ بغيــة عفـــواً ونهبــهِ الأمـل

تعبر قصيدته الرثائية هذه عن مدى الحب والوفاء والفداء الذي يبديه الشاعر لصاحبه (الهرُّ) الذي صرح في البيت الثاني عن عدم معرفته بما جرى عليه الزمن من الحادثات، والقصيدة لوحة سطر فيها الشاعر أروع صور الوفاء والفداء الذي لم يقف فيه عند صورة فدائية واحدة بل سرعان ما يستبدل فداءه بفداء آخر يجده أقل شأناً من الفداء الأول ، والقصيدة بنية لغوية (إحالية) لمحيل واحد (الهرُّ) قد حذف اسمه في صور الفداء واكتفى الشاعر بالإحالة القبلية؛ لأن الدلالة مبنية عليه بأكملها فحذفه جاء من باب الإيجاز والاختصار ، وقد تعددت الجمل الاستبدالية ولكل استبدال دلالته الخاصة ، إذ استبدل الشاعر بوفائه الحب والصفو والصحة والأمن والأمل بدلاً من الخوف والمرض والخيبة ، وهذا النوع من التعدد ما هو إلا رسالة أراد الشاعر بها وفائه واخلاصه لحبه .

والحقيقة أن الإحالة والحذف في النص يحافظان على بقاء مساحات من المعلومات فارغة تفسح المجال للقارئ لملئها بزاده المعرفي بما ينسجم مع سياقات النص فيأخذ دوره مع الشاعر في انتاج النص .

وادوات الربط والوصل هي الأخرى تشير إلى العلاقات التي تربط المساحات النصية فيما بينها ، وفي هذه القصيدة نلحظ حرف الوصل(بل) قد شكل ظاهرة بتكراره في اربعة مواضع حقق وظيفته الترابطية بين وحدات النص عبر مجموعة من الاجوبة لسؤال واحد تضمنه البيت الرابع ثم حقق المرجعية بإحالته إلى فاعل واحد ، وهذا النوع من العلاقات الترابطية يسمى بالوصل أو الربط السببي المبني على السؤال والجواب أي النتيجة والسبب.

وما نلحظه أن الشاعر لجأ إلى التكرار اللفظي التام المتمثل في (فارقتنا – مفارقة) ، (الحسن، الحسان) ، (الفداء) ، وتكرار حرف الايجاب (بل) ، جاء هذا التكرار عن وعي وقصد من الشاعر اسهم اسهاما كبيرا في تشكيل صورة القصيدة ودلالتها، إذ كل لفظة مكررة كان لها من المعنى أو الدلالة المغايرة التي أضفت على القصيدة الحيوية والحركة وتقلب الدلالة وبعيدا عن الرتابة والحشو والإطالة التي تقتل جمالية النص ، وهذه المتعة المعجمية قد شدت اواصر القصيدة بدلاً من تشتتها ، وهذا النوع من التكرار مقبول كان له اثره الحسن في النص سواء من جانب المعاني والافكار أو من جانب المباني والالفاظ وانسجامها.

ويشكل التضام نوعا آخر من الفداء الحاصل بين المتضادات الجزئية(الشفاء، الاوصاب ، العلل) وهي مفردات جزئية ترتبط بالصحة بصورة عامة ، ولو اكتفى الشاعر بذكر الصحة لأدى المعنى ؛ لأن الصحة تشمل العلة والشفاء الا أنّ اطنابه في الفدية قاده إلى السعة في ذكر الكل والجزء؛ لأن الشاعر قد نسج نصه منذ البدء في ذكر التفاصيل التي تؤكد جوابه وتزيد أواصر المحبة والفداء.

الخاتمة

الحمد الله ربّ العالمين ، والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله وسلم .

بعد نهاية بحثنا هذا فقد توصلنا إلى اهم النتائج التي نطمح أنّ تكون وافية مفسرة لكثير من الاستفسارات، إذ قُسم البحث إلى محورين ، ولقد فُصِل المحور التنظيري عن المحور التطبيقي لسبب واحد ؛ وهو أنّ هذا المفهوم– التماسك النصي_ لا يمكن عبره أن نجزئ النص الشعري إلى وحدات تابعة لكل معيار من معايير التماسك النصي ؛ لأن كل جزء مرتبط بما قبله وما بعده لا ينفصل عنه ، فالجمل تتماسك فيما بينها شكليا وتترابط دلاليا وتتعالق مع العوالم الخارجية بواسطة هذه الآليات مجتمعة ، فهو يختلف عن المفاهيم الادبية التي كل معيار فيها منعزل عن الآخر ويحقق دلالته مكتفيا بمفهومه الخاص ، وما نلحظه أن مفهوم التماسك النصي عبر التحليل النصي لم يعزل منتج النص (الشاعر) ، والمتلقي (هدف النص) ، ولا السياق الخارجي عن النص .

ولقد حققت كل آلية من آليات التشكيل النصي وظيفة ساعدت على الترابط والانسجام النصي والتركيبي والدلالي ، وتتجلى هذه الوظائف على النحو التالي:

1– حققت الاقتصاد اللغوي بعيدا عن الاطناب الذي يجعل النص ركيك البنية ، والاكتفاء بالإيحاء والإيجاز وتوظيف اللفظ الذي يحمل اكثر من معنى ، وهذا من المستويات الاسلوبية والبلاغية

المسؤولة عن التغيير ، وكل تغيير يضيف معنى جديدا للنص، وكثيرا ما انتجته الاحالة والحذف والاستبدال.

2- اكسبت النص توازنا واعتدالاً ، إذ جعلت النص سلسلة مكتملة الحلقات من دون قطع أو تقديم وتأخير قد يؤدي إلى اللبس أو الغموض في عدم فهم النص فلكلّ آلية مكانها الذي سيقت إليه .

3- تحقق للنص الاستمرارية في تسلسل الافكار ، إذ لا يمكن ادراك معنى الجملة الواحدة من دون العودة إلى الجملة التي سبقته أو لحقته ، وهي بذلك تُلقي المتعة في نفس المتلقي ، وتجذب انتباهه ، وتجعل له دورا فاعلا في إنتاج دلالة النص .

4- حقق التكرار اضافة إلى مهمته في التماسك النصي مهمة اخرى تتجلى في تأكيد الخبر ، وتقوية المعنى .

وكل ما نستطيع قوله إنّ هذه الآليات لم تأتِ في التشكيل النصي بشكل عشوائي مهمش، بل حققت مركزا دلاليا وتداوليا ضمن تداخلها في مستويات صوتية وبلاغية واسلوبية ونحوية.

الهوامش :

(1) نحو النص : 141 .

(2) ينظر: إشكاليات النص : 31 .

(3) لغة النص – المفاهيم والاتجاهات-: 103.

(4) ينظر : نحو النص – نقد النظرية وبناء أخرى- : 83 .

(5) ينظر: النص والخطاب والاجراء : 103- 105 .

(6) ينظر: يتيمة الدهر : 154- 160 ، وفيات الاعيان: 5/ 103- 110، معاهد التنصيص : 1/ 115- 124 ، وغيرها .

(7) ينظر : معاهد التنصيص : 1 / 116 .

(8) تجارب الامم : 275.

(9) ينظر : الفهرست : 149 ، والادب العربي في العصر العباسي: 313، معاهد التنصيص: 1/ 124.

(10) ينظر : الكامل في التاريخ :8/ 606 .

(11)لسان العرب : 488-490 .

(12)لسانيات النص: 5.

(13) النص والخطاب والاجراء:103 .

(14) دراسات لغوية تطبيقية: 105 .

(15) الربط الذراعي في النص العربي: 256.
(16) لسانيات النص: 19
(17) ينظر: علم لغة النص النظرية والتطبيق: 124.
(18) ينظر: الاتساق والانسجام في رواية سمرقند : 36.
(19) لسانيات النص : 19.
(20) ينظر: اشكالات النص : 354.
(21) دلائل الاعجاز: 146.
(22) ينظر: علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق:2/ 221.
(23) لسانيات النص: 23.
(24) ينظر: م.ن : 23.
(25) ينظر: لسانيات النص: 24-25.
(26) أدب ابي الفضل ابن العميد:78.
(27) م.ن : 51 .
(28) م.ن : 48 .
(29) أدب ابي الفضل ابن العميد: 69.

قائمة المصادر والمراجع

1- أدب أبي الفضل ابن العميد (ت 360 هـ) ، جمع وتحقيق ودراسة ، الاستاذ الدكتور محمد حسين المهداوي ، والاستاذ الدكتور فهد نعيمة البيضاني ، دار الفرات للثقافة والاعلام ، بابل ، العراق ، 2018 .
2- الادب العربي في العصر العباسي ، د. ناظم رشيد شيخو ، دار الكتب للطباعة والنشر ، الموصل ، العراق ، 1989.
3- إشكالات النص ، جمعان بن عبد الكريم ، ط1 ، النادي الأدبي ، الرياض ، 2009.
4- تجارب الأمم ، أبو علي أحمد بن محمد المعروف بابن مسكويه ، شركة التمدن الصناعية ، القاهرة ، مصر 1915.
5- دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة ، سعيد حسن بحيري ، القاهرة ، مصر ، مكتبة الاداب ، 2005.
6- دلائل الاعجاز ، ابي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني ، تحقيق: محمود شاكر ، ط3، القاهرة ، مكتبة المدني ، القاهرة ، دار المدني ، جدة ، 1992.
7- علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ، د. صبحي إبراهيم الفقي ، ط1 ، دار قباء ، القاهرة ، 2000.
8- علم لغة النص – المفاهيم والاتجاهات، د. سعيد بحيري، ط1، مكتبة لبنان، 1997.
9- علم لغة النص – النظرية والتطبيق- ، د. عزة شبل محمد ، مكتبة الاداب القاهرة ، 2009.

10- الفهرست ، ابن النديم ، ابو الفرج محمد بن ابي يعقوب اسحق المعروف بالوراق ، تحقيق : رضا تجدد الحائري ، طهران ، ايران ، 1971 .

11- الكامل في التاريخ ، ابو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني الجزري ، عز الدين ابن الاثير (ت 630 هـ) تحقيق: عمر عبد السلام تدمري ، ط1 ، دار الكتاب العربي ، بيروت ، لبنان ، 1997.

12- لسان العرب ، ابن منظور (ت 711هـ) دار صادر ، بيروت ، د.ت ، د.ط.

13- لسانيا ت النص – مدخل إلى انسجام الخطاب، محمد خطابي ، المركز الثقافي العربي ، الدار البيضاء ، ط1 ، 1991.

14- معاهد التنصيص على شواهد التلخيص ، عبد الرحيم بن عبد الرحمن بن أحمد ، أبو الفتح العباسي ، (ت 963هـ) ، تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد ، عالم الكتب ، بيروت.

15- نحو النص – نقد النص وبناء أخرى ، د. عمر أبو خرمة ، ط1، إربد ، الاردن ، عالم الكتب الحديثة ، 2004 .

16- نحو النص ، عثمان أبو زنيد ، ط1، عالم الكتب الحديثة ، إربد ، ، 2009 .

17- النص والخطاب والاجراء ، روبرت دي بوجراند ، ترجمة : د. تمام حسان ، عالم الكتب ، القاهرة ، 1998 .

18- وفيات الاعيان وانباء ابناء الزما ن ، شمس الدين احمد بن ابي بكر بن خلكان(ت 681هـ) تحقيق: د. احسان عباس ، دار صادر ، بيروت ، لبنان .

19- يتيمة الدهر في محاسن اهل العصر ، أبو منصور عبد الملك بن محمد بن اسماعيل الثعالبي(ت 429هـ) ، تحقيق: : محمد محي الدين عبد الحميد ، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع ، بيروت ، لبنان ، د.ت .

الرسائل والاطاريح :

- الاتساق والانسجام في رواية سمرقند لأمين معلوف ، لمياء شنوف ، (رسالة ما جستير) ، جامعة منتوري ، قسنطينة ، الجزائر ، 2009.

المجلات والابحاث :

- الربط الذراعي في النص العربي ، فالح العجمي ، مجلة ابحاث اليرموك ، المجلد 12 ، العدد1، 1994.